أثر معجمات ألفاظ الحضارة في القضاء على الازدواجية اللغوية

زهراء علي أحمد

أ. م. د. عمار عبد الستار محمد

جامعة ديالى/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

Zahraa.al.hum@gmail.com

ammar.ar.hum@uodiyala.edu.i

الملخص:

يتناول هذا البحث قضية الازدواجية اللغوية وأثرها على اللغة العربية الفصحى موضحاً الأخطار الآثار السلبية على اللغة والمجتمع والفرد , وشيوع العامية بوصفها لغة بديلة للفصحى وهذا يعد الخطر الأكبر الذي لابدَّ من مواجهته للحفاظ على لغة ديننا الحنيف ولغة قرآننا الكريم , فاللغة كائن حي ينمو ويزدهر ويواكب التطور الحضاري , لكن للغتنا العربية ظوابط لا يمكن الخروج عنها أو مخالفتها بحجج واهية كصعوبتها أو أتهامها بأنها لغة لا يمكنها مواكبة التطور المعرفي والحضاري . الكلمات المفتاحية: ألفاظ الحضارة – الازدواجية اللغوية

المقدمة :

قد نادى الكثير من المحدثين لأتباع اللغة العامية سواء من العرب أو المستشرقين في المقابل كان هناك من تصدى لمثل هذه الدعوات المعادية للغة العربية الفصحى ووقف على ظاهرة الازدواجية اللغوية وتداخلها مع مصطلح الثنائية اللغوية فمن العلماء من جعلهما مصطلحين يحملان نفس المعنى , لكن هما كمصطلحين غير متقابلين فالازدواجية تكون في اللغة الواحدة , بينما الثنائية بين لغتين لكل منهما كيانها المستقل عن الأخرى كاللغة العربية واللغة الأنكليزية , فاتصال الفرد العربي بالمجتمعات الأخرى كان من اهم مسببات لظهور هذه الظاهرة إضافة لعوامل سياسية وثقافية وفكرية .

الازدواجية اللغوية:

لغة: من زوج: الزَّوْجُ: خِلَافُ الفَرْدِ. يُقَالُ: زَوْجٌ أَو فَرْدٌ، وَيُقَالُ: هُمَا زَوْجان لِلِاثْنَيْنِ وَهُمَا زَوْجٌ، كَمَا يُقَالُ: هُمَا سِيَّانِ وَهُمَا سَواءٌ؛ ابْنُ سِيدَهْ: الزَّوْجُ الفَرْدُ الَّذِي لَهُ قَرِينٌ. وَالزَّوْجُ: الِاثْنَانِ[1]. ونقول: "فلان ازدوجت لغتُه" فهو مزدوِج اللغة بكسر الواو لا بفتحها[2].اصطلاحا: وجود لغتين مختلفتين عند فرد ما ,أو جماعة ما, في آن واحد[3]. ويعرفها "جون ليونز" : الازدواجية: ونعني بها أن اللغة مستويين بنيويين فوحدات المستوى الأساسي تتكون من عناصر المستوى الثانوي ولكلا المستويين أسسه التنظيمية الخاصة [4].وفائدة الازدواجية أنه يمكن أن نركب عددا ضخما من الوحدات المختلفة من عدد صغير من العناصر، فعدة آلاف من الكلمات –على سبيل المثال– تتركب من ثلاثين أو أربعين صوتا، ولو أن هذه الوحدات الأساسية أتيح لها التركيب المنظم بطرق متنوعة فإن عدد الإشارات المتميزة التي يمكن أن تنقل –وبالتبعية عدد الرسائل المختلفة– سيتزايد بدرجة هائلة، ليس هناك حد لعدد الإشارات اللغوية المتميزة التي يمكن أن تتركب في لغات معينة[5].وشاع استعمال "الازدواجية" وهو استعمال جيد فنقول: "الغرب يطبق حقوق الإنسان بازدواجية المعايير" و "أمريكا تطبق الشرعية الدولية بازدواجية المعايير" ونقول أيضا: "إن الاتفاقية نصت على استبعاد ازدواجية الضريبة" أي دفعها في أكثر من بلد. مما يعني "أنه يكفي أداء الضريبة في بلد واحد حتى لا يكلَّف دافعَها دفعُها في بلاده وفي بلاد أجنبية"[6].

نشأة الازدواجية اللغوية وعوامل ظهورها:

نشأت هذه الازدواجية في الجزيرة العربية قبل الإسلام بين اللغة الأدبية المشتركة ولهجات القبائل , إذ كانت الأولى لغة الأدب والعهود والمواثيق , وكانت الثنائية لغة التفاهم في الحياة اليومية , ولم يكن هناك فرق بين المستويين التعبيرين ؛ لأن اللهجات ليست لغات مستقلة , بل هي اختلافات صوتية وصرفية بين القبائل تتعلق بظواهر الإمالة والفتح والهمز والتسهيل والإدغام والوقف والتصحيح والإعلال والقصر والمد وما إلى ذلك وأن دخول اللغة العربية الأمصار صحبة الفاتحين , ونشوء العاميات نتيجة تفاعل اللهجات العربية مع شقيقاتها في العراق والشام ومصر والمغرب , لم يعبروا من جوهر الأمر شيئا بالنسبة إلى مصطلح (الازدواجية اللغوية) فقد نشأ مسنويان تعبيريان , فصيح وعامي , بينهما الاختلافات الصوتية والصرفية فضلا عن اختلافات أخرى قدمتها اللغات الأصيلة في أثناء تفاعلها مع اللهجات , لم يمنع هذان المستويان التعبيريان الجديدان من دخول الفصيحة معركة الحضارة وفوزها فيها[7].وقد أشار الجاحظ(ت٢٢٥هإلى ذلك بقوله: (ومتى وجدناه أيضا قد تكلّم بلسانين، علمنا أنّه قد أدخل الضيم عليهما، لأنّ كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها، وتعترض عليها. وكيف يكون تمكّن اللسان منهما مجتمعين فيه، كتمكّنه إذا انفرد بالواحدة، وإنّما له قوّة واحدة، فإن تكلّم بلغة واحدة استفرغت تلك القوّة عليهما)[8]. فيشير الجاحظ أن دمج لغتين ممكن لكن قد يكون صعب المنال نظراً لاختلاف مستوياتهما اللسانية[9].واللغة الفصحى تمثل أعلى مستويات اللغة , ملازمة للعامية ومتوازية معها , وقد تمكنت من التغلب على العاميات المتمثلة باللهجات العربية , لكن الاختلاط مع العجم أدى للبعد عن الفصحى وهو ما خافه ابن منظور , فجعله سببا لوضع معجمه الكبير (لسان العرب)[10], يقول ابن منظور(ت٧١١هـ) في مقدمته: (وذلك لما رأيتُه قد غلب، فِي هذا الأوان، من اختلاف الأَلسنة والألوان، حتى لقد أصبح اللّحن في الكلام يعد لحنًا مردودًا، وصار النطقُ بالعربيَّة من المعايب معدودًا. وتنافس

الناسُ في تصانيف الترجمات فِي اللُّغة الأعجمية، وتفاصحوا فِي غير اللُّغة العربية، فجمعت هذا الكتاب في زمنٍ أهلُهُ بغير لغته يفخرون، وصنعته كما صنع نوحٌ الفلكَ وقومُه مِنهُ يسخرون)[١١].

ومن عوامل ظهورها:

١- انتشار العربية في مناطق لم تكن عربية اللسان كاللغات اليمنية القديمة في معظم بلاد اليمن , واللهجات الآرامية في العراق , وعلى اللسنة القبطية والبربرية والكوشية في مصر وشمال افريقيا , ومن ثمة تأثرت اللغة العربية بلهجات هذه المناطق , وانحرفت في ألسنة أهلها انحرافاً خاصاً اقتضته عاداتهم الصوتية المتأصلة ومناهج ألسنتهم.

٢- عوامل اجتماعية وسياسية : كاستقلال البلاد العربية بعضها عن بعض , وضعف السلطان المركزي مما أدى إلى انفصام الوحدة الفكرية واللغوية.

٣- عوامل اجتماعية نفسية: تتمثل في فروق النظم الاجتماعية والعرف والتقاليد والعادات , ومبلغ الثقافة , ومناحي الفكر والوجدان , وما إلى ذلك من اختلافات في مثل هذه الأمور يتردد صداه في أداة التعبير.

٤- عوامل جغرافية: تمثل فيما بين سكان هذه المناطق من فروق في الجو وطبيعة البلاد , وبيئتها, وموقعها ,وفواصل بينها من جبال وأنهار وبحيرات وما إلى ذلك ولا يخفى أن هذه الفروق والفواصل تؤدي عاجلاً أو أجلاً إلى فروق وفواصل في اللغات.

٥- عوامل شعبية جنسية: تمثل فيما بين سكان هذه المناطق من فروق في الأجناس والفصائل الإنسانية , وأن هذه الفروق آثار في تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات ولغات.

٦- اختلاف أعضاء النطق باختلاف الشعوب: فمن المقرر أن هذه الأعضاء الفيزيولوجية تختلف في بنيتها واستعدادها ومنهج تطورها تبعا لاختلاف الشعوب , وتنوع الخواص الطبيعية المزود بها كل شعب والتي تنتقل بالوراثة من السلف إلى الخلف.

٧- التطور المطرد لأعضاء النطق: فمن المقرر أن أعضاء النطق عند الإنسان في تطور طبيعي مطرد في بنيتها واستعدادها , ومنهج أداء وظائفها , فحناجرنا وحبالنا الصوتية وألسنتنا وحلوقنا وسائر أعضاء نطقنا تختلف عما كانت عليه عند آبائنا الأولين , مثال ذلك ثقل وتبديل بعض أصوات اللغة العربية كالجيم والثاء والذال والظاء والقاف في كثير من البلاد العربية , فنتج عن ذل ازدواجية (ثوب–توب),(جيم–قيم),(ذئب–ديب),(ذهن– زهن)...

٨- الأخطاء السمعية وسقوط الأصوات الضعيفة: قد تحيط بالصوت بعض المؤثرات التي تعمل على ضعفه بالتدريج , كوقوعه في آخر الكلمة , وزيادة في بنيتها ,وعدم توقف المعنى المقصود عليه , فيتضاءل جرسه شيئاً فشيئاً حتى يصل في عصر ما إلى درجة لا يكاد يتبين منه في السمع , فيكون عرضة للسقوط , مثل اكتساب الطفل للغة العربية في عصرنا الراهن , ينطقون بالكلمات المجردة من الحركات الاعرابية كتسكين الكلمات (أبوكَ– أبوكْ) , (أينَ– فين) , (رأس–راس) , (فاطوة– فاطنة)...الخ.

٩- تغير مدلول الكلمات من العام إلى الخاص , أو العكس عن طريق التوسع أو المجاز , أو انتقالها من السلف إلى الخلف , أو تغير طبيعتها , أو عناصرها , أو وظائفها الاجتماعية كالريشة والقطار والآبل وغيرها.

١٠- إنقراض بعض الكلمات لانقراض مدلولها , أو قلة استخدامها لثقلها على اللسان , أو لدقة مدلولها , كأسماء الملابس, والأثاث , والآت الحروب ووسائل النقل والمقاييس والنقود ومظاهر النشاط والنظم الاجتماعية التي كانت سائدة عند العرب في عصورهم الأولى[١٢].

وما أتفق عليه الكثير من الباحثين اللغويين المحدثين الغربيين منهم على وجه الخصوص أن أظهر الأسباب لتفسير ظهور هذه الازدواجية هي الاختلاط بالأعاجم وتفشيها ويكشف سرا من أسرار نشأتها وتطورها , وهم يتفقون مع القدماء في هذا السبب[١٣].

الفرق بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية:

ما جاء في بعض المعجمات من التفريق بين كلمتي "الازدواجية والثنائية". فنقول ازدواجية اللغة للدلالة على معنى، وثنائية اللغة للدلالة على معنى آخر.ازدواجية اللغة تعني الجمع في الحديث والكتابة بين اللغة العربية الفصيحة واللهجة الدارجة. فاللغة واحدة لكن الدارجة ازدوجت مع الفصيحة. فنقول: "هو مزدوِج اللغة"، أي يجمع بين العربية الفصيحة واللهجة الدارجة أي يُشرِكهما . أما ثنائية اللغة فتعني استعمال لغتين مختلفتين منفصلة إحداهما عن الأخرى. ونقول هو ثنائي أو ثلاثي أو رباعي اللغة بمعنى أنه يملك أكثر من لغة. أي أنه متكون باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية والإسبانية (مثلا) [١٤].إنَّ بعض الباحثين يرفضون استعمال مصطلح "الازدواجية" للدلالة على شكلي اللغة العربية : الفصحى والعامية ؛ وذلك أن العامية والفصحى فصيلتان من لغة واحدة وهو فرق فرعي لا جذري , والازدواجية الحقة لا تكون إلا بين لغتين مختلفتين

كما بين الفرنسية والعربية, أو الألمانية والتركية , أما أن يكون للعربي لغتان عامية وفصحى فذلك أمر لا ينطبق مفهوم الازدواجية عليه , إنه بالأحرى ضرب من " الثنائية اللغوية" [١٥].وأن من عوامل أنتعاش ظاهرة الثنائية اللغوية هو انتقال الجماعات البشرية من منطقة إلى أخرى , والتقاؤهم بجماعات لغوية أخرى تختلف عنهم من حيث اللغة , ونتيجة هذا الاحتكاك بين الجماعات اللغوية تظهر الثنائية اللغوية التي أخذت في النمو والتوسع لكثرة وسائل الاتصال بين المجتمعات المختلفة كالتجارة والعمل والهجرة وغيرها.ولعل أهم ما يدعم الثنائية اللغوية ويعززها في مجتمعاتنا العربية هو أنظمة التعليم , فهي سمحت للغات الأجنبية بمزاحمة اللغة العربية الفصحى حتى أن اللغات الأجنبية أصبحت مقررة على تلامذة الأقسام الابتدائية في حين أنهم لم يتمكنوا من لغتهم الفصحى بعد, وهم يعانون من الازدواجية اللغوية .ولم يقتصر هذا الأمر على فئة الأطفال بل وحتى طلاب الجامعات , وهذا أغلب جامعات الوطن العربي باستخدامهم للمصطلحات العلمية باللغة الأجنبية , وكأن اللغة العربية قاصرة على استيعاب هذه العلوم ومصطلحاتها.وكذل الصحافة والاعلام وانفتاح سوق العمل لها دور في تعزيز الثنائية اللغوية[١٦].وربما كانت أكثر خصائص اللغة لفتاً للأنظار عند مقارنتها بالشفرات أو بنظم الاتصال مرونتها، وتعدد استعمالاتها، فنحن نستخدم اللغة للتعبير عن انفعالاتنا، ومشاعرنا، أو لكي نلتمس تعاون رفاقنا، أو لكي نصوغ وعودنا ووعيدنا، أو لكي نصدر أوامرنا، أو نوجه أسئلتنا أو لنصوغ أحكامنا، ويمكننا أن نشير إلى الماضي، وإلى الحاضر، وإلى المستقبل وإلى الأشياء البعيدة عن سياق القول وحتى إلى تلك الأشياء التي لا حاجة لوجودها ولس من الممكن إيجادها، وليس هناك نظام اتصال خاص بالإنسان أو بغير الإنسان يبدو أن له شيئا ما يشبه هذه الدرجة من المرونة وقابلية التغير، وفيما بين الخصائص الأكثر وضوحا والتي تسهم في مرونة اللغة وتعدد استعمالاتها "أي: في كل نظام لغوي وفي أي نظام لغوي" هناك أربع خصائص تذكر بشكل متكرر للتذكر وهي: الاعتباطية، والازدواجية، والتمايز، والإنتاجية[١٧].

أثر المعجمات في القضاء على الازدواجية اللغوية:

كان علاج الازدواجية هو رفض العامية ,والعربية الفصحى هي لغة للكتابة, أي للعلم والأدب والفكر والثقافة والدعوة للغة الفصيحة الميسرة التي تفترض اكتمال مظاهرها النحوية والصرفية والدلالية والصوتية , وممارستها في حقول العلم والأدب وفي كل النشاطات الثقافية المكتوبة [١٨].

ومن سمات الفصيحة الميسرة للقضاء على الازدواجية:

١- التسامح الممكن في التخفيف من الحركات الإعرابية بالتسكين على أواخر الكلمات مالم يتسبب ذلك في تغيير دلالي أو تشويه صوتي.

٢- تجنب ما يعرف بالتطبع والتقعر والتشدق , وهي كلمات تعني التكلف في الحديث وأدائه ونطقه .يقول عبد الرحمن بن محمد القعود: (الفصيحة الميسرة المقترحة نتيجة تفاعل بين الاثنين أملا في تحقق مستويين متقاربين للعربية , مستوى فصيح للكتابة , ومستوى فصيح ميسر للحديث هذا التفاعل سيثمر اطراح مفردات وتعبيرات في العامية مبتذلة سوقية ترفضها الذائقة اللغوية والجمالية , وسيثمر تعديل وتهذيب ما أصاب المستوى الصوتي أو الصرفي من اضطراب وإدخالها في المسار الصحيح الضروري للفصيحة , كما سيثمر لغة خفيفة رشيقة واضحة سهلة مهذبة نقية طيعة للحياة اليومية) [١٩].وقد أشار الدكتور حسين نصار إلى أن الصلة بين هذه العاميات واللغة العربية قد تتفاوت , بل في العامية الواحدة في الأطوار الزمنية التي تمرُّ بها , وقد تتصل العاميات بلغات غير عربية وتأخذ منها كما فعلت اللغة العراقية مع الفارسية والتركية , والسورية والسريانية , واللبنانية مع الفرنسية , والمصرية مع التركية والإيطالية , وقد تتباعد مواضع الاتصالين العربية والعاميات بسبب القبائل التي ينتمي إليها جمهور هذا القطر أو ذاك , فتتصل عامية أحد الأقطار بلهجة بني تميم , وعامية ثان بأهل الحجاز أو بأهل اليمن , وكان لهذا الاتصال المتفاوت آثره في حركة التأليف العربية , وكان أول ما لفت الأنظار التباعد المتزايد بين الفصحى وغيرها , ذلك التباعد الذي أفزع اللغويين , وعدوه تحريفاً للغة , وتبديلاً لنقائها , واعتداء على قدسيتها , فأصدروا الكتب التي أعلنت الحرب عليه , مثل كتاب "لحن العامة" للكسائي (ت١٩٨هـ) , و"اصلاح المنطق " لابن السكيت (ت٢١٦هـ) , و"الفصيح" لثعلب (ت٢٩١هـ) , وغيرها من المؤلفات[٢٠]وما يهمنا في هذه الدراسة العمل المعجمي في العصر الحديث للقضاء على الازدواجية, وبيان رأي اللغويين في هذه القضية وكيف حاولوا التصدي لها من خلال ابرز نتاجاتهم في الحقل المعجمي.ويعد العمل المعجمي من أصعب مجالات النشاط لعلم اللغة. فهو أولًا يتطلب مواصفات خاصة في صانعه يندر توافرها الآن، وهو ثانيًا يتطلب دقة وصبرًا متناهيين ولذا يقول Gleason: "إن عمل المعجمات عمل مضجر إلى أقصى حد. إنه الدقة ... إنه عبء عظيم لا يمكن تصديقه".وإلى جانب هذا وذاك؛ فإن العمل المعجمي يستلزم معرفة كل شيء عن اللغة المعنية، والخصائص الملائمة لوحداتها المعجمية، والنظام العام للغة، كما يستلزم تكوين صورة واضحة عن مستعمل المعجم وهدفه وتفكيره.وبالإضافة إلى هذه الصعوبات فهناك صعوبتان أخريان هما:

١- أن المعجمي يعالج ظاهرة مفتوحة لا تستقر على حال. ولذا فإن أي محاولة لحصر كلمات أي لغة حية تعد مطلبًا عزيز المنال إن لم يكن مستحيلًا، ويظل المعجمي في حالة تساؤل دائم عن مدى تحقيق معجمه للشمول ومقدار قربه أو بعده من الجمع الكامل لمادة اللغة.

٢- أن المعنى هو المحل الأول لاهتمام المعجمي، وهو يمثل صعوبة في حد ذاته بل عده بعضهم واحدًا من أصعب حقول الدراسة[٢١].

وعادة ما تطلق كلمة "معجم" على المعجمات الشاملة أحادية اللغة، أي التي تتطابق فيها لغة المدخل مع لغة الشرح.

ولكن الكلمة قد تطلق كذلك على ما يسمى بالمعجمات الخاصة ذات المجال المحدود فيقال: معجم مصلحات – معجم مترادفات – معجم ألفاظ القرآن الكريم.. إلخ كما تطلق علي المعجمات ثنائية "أو متعددة" اللغة، وهي المعجمات التي تختلف فيها لغة الشرح عن لغة المدخل، وتهتم بتقديم المعلومات عن اللغة المشروحة أكثر مما تهتم باللغة الشارحة [٢٢].

وتخلط هذه المعجمات كثيرا، بين مستوى العربية الفصحى واللهجات القديمة، في اللفظ والدلالة، بلا إشارة إلى ذلك في كثير من الأحيان، مثل: السراط، والصراط، والزراط، بمعنى: الطريق مثلا، وكذكرها لكلمة: "العجوز" مثلا، أكثر من سبعين معنى، من بينها: الإبرة والجوع، والسمن، والقبلة، واليد اليمنى. فمن المحال أن تكون هذه المعاني جميعها، مستعملة في الفصحى وحدها[٢٣].

من بين المشاكل التي تم تطرقت لها المصادر القديمة والحديثة قضية الفصحى والعامية وخاصة الصراع بينهما , الدعوة للعامية قضية زائفة المحتوى ؛ لأنها تدعو إلى استعمال ما هو مُستعمَل في البلاد العربية (اللغة العامية) , ولو كانت هذه الدعوة موضوعية لوجب أن يكون عنوانها (الدعوة إلى تنقية العاميات مما لحقها في عصور الضعف والانحدار والسيادة الأجنبية) , ويزعم الدكتور سمر وحي الفيصل أن أنصار الفصيحة لم يحاربوا الدعوة إلى العامية لمخالفتهم محتواها أو جهلهم زيفها ؛ بل حاربوها لما تضمره من أهداف معادية للأمة العربية ومن هذه الأهداف:

١- هجر الفصيحة تمهيداً للقضاء عليها, وما يتبع ذلك من فصل العرب عن تراثهم ودينهم.

٢- نقل العامية من اللهجة المنطوقة في الحياة اليومية إلى اللغة المكتوبة المستعملة في التأليف والبحث والإدارة أي جعل العامية لغة أدبية بدلاً من الفصيحة.

٣- نشر اللغات الأجنبية واعتمادها لغة التعليم بغية السيطرة على العرب وجعلهم تابعين للاستعمار تبعية مطلقة[٢٤].

ومن المعجمات الحديثة التي تناولت الازدواجية وتبين الألفاظ الفصيحة والعامية " معجم اللغة العربية المعاصرة" يقول الدكتور أحمد مختار صاحب المعجم: (هناك جملة من المعايير التي وضعناها لاختيار مداخل المعجم، وهي:

أ- الكلمات الحية، المستعملة أو القابلة للاستعمال بين عامة المثقفين في لغة العصر الحديث – الكلمات المستحدثة وهي ألفاظ الحياة العصرية، مثل: (مصداقية، علمانية)، وكلمات الحضارة، مثل: (باخرة، ثقاب، سفير)، وقدر كبير من مصطلحات العلوم والفنون التي لم تعُد- لشيوعها- حكرًا على أهل التخصُّص، مثل: (بوصلة، قطارة، تلكس)، والتي تكمل مواد لغوية ناقصة، والكلمات التي يقبلها نظام اللغة العربية – جميع كلمات القرآن الكريم – ما شاع من ألفاظ الحديث النبويّ – بعض الألفاظ المعرَّبة أو الدخيلة التي أقرتها المجامع اللغوية أو مؤتمرات التعريب، أو ارتضاها جمعٌ من الأساتذة المتخصصين- المصادر الصناعية – الكلمات المجمعية، سواء التي وضعها المجمع أو التي أقرَّها، مثل: (وحدوي، تبرير، متحف) – ألا يكون المدخل عَلَمًا على نهر أو جبل أو بلد أو شخص أو كتاب (باستثناء أعلام الأنبياء، وأسماء القرآن الواردة في القرآن الكريم، وبعض الأعلام التي لها صلة بالتراث الإسلامي، أو وردت في القرآن الكريم، مثل: "زيد" – رضي الله عنه – صحابيّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

ب- توسّعنا في إثبات المداخل المتعلِّقة بالنبات؛ وذلك لاختلاف معيار الاستعمال بالنسبة لأنواع النباتات في الأقطار العربية المختلفة.

أ- اعتمدنا عند اختيار مداخل المعجم، على الجمع اليدوي والمسح الآلي لآلاف النصوص الحية لانتقاء الجديد الذي لم يرد في معجمات السابقين، مع عدم إغفال ما ورد في المعجمات المعاصرة من ألفاظ)[٢٥].

وكان يشير في معجمه الألفاظ الفصيحة أو العامية , مثال ذلك:

- ألف ليلة وليلة: (دب) مجموعة من القصص الشعبيّ العربيّ، كُتبت بين القرنين (٧، ٨ هـ/ ١٣، ١٤م)، يغلب عليها طابع الخيال، ولغتُها بين العاميّة والفصحى ويتخلّلها شعر مصنوع[٢٦].
- حَتَّة [مفرد]: ج حَتَّات: اسم مرَّة من حَتَّ/ حَتَّ عن, قِطعة من الشّيء، وتستعمل في العامّيّة بالكسر وتُجمع على حِتَت[٢٧].
- تخاطُب هاتفيّ مزدوج: طريقة تمكّن من التخاطب الهاتفيّ في اتّجاهين متضادّين في وقت واحد- لُغَة التَّخاطُب: لهجة الحديث، اللغة العاميَّة[٢٨].

ومن المعجمات الحديثة التي كانت تشير للألفاظ الفصيحة والعامية" المعجم الوسيط" لمجمع اللغة العربية بالقاهرة مثال ذلك:

- (الطالسان) ضرب من الأوشحة يلبس على الْكَتف أَو يُحِيط بِالْبدنِ خَال عَن التفصل والخياطة أَو هُوَ مَا يعرف فِي العامية المصرية بالشال (فَارسي مُعرب تالسان أَو تالشان) [٢٩].

أما " تكملة المعجمات العربية : للمستشرق "دوزي" فقد ذكر في معجمه كثيرًا من الألفاظ العامية التي وجدها في المصادر التي اعتمد عليها من غير أن يشير إلى أنها من كلام العامة، بل إنه يحذف هذه الإشارة إذا وجدها مثبتة المصدر الذي ينقل عنه، ولذلك نرى أن فصيح اللغة يختلط بعاميتها من غير أن ينبه إلى عامية البلد الذي تستعمل فيه[٣٠], مثال ذلك:

- نلس: نلس: كلمة منحوتة من الفصحى إلى العامية من كلمة نجل[٣١].

ومن بين المعجمات الحديثة التي تناولت اللغة الفصحى والعامية " معجم تيمور الكبير" ويبين صاحب المعجم أن الغرض منه فيقول: (هو إحياء اللغة العربية الصحيحة بذكر العامي , وتفسيره , ورده إلى نصابه من الصحة إن كان عربي الأصل , أو بيان مرادفه –أن لم يكن كذلك – ليحل محله , ويرجه إليه في الاستعمال , فإن جهلناه اقتصرنا على تفسير المعنى وتوضيحه , ليتسنى لمن وجده بعدنا أن يتمم ما بدأنا به , ويوفي ما قصرنا فيه , فيكون ذكرنا بمثابة التنبيه والإرشاد إليه , وليس بقصدنا إثبات كل ما نطقت به العامة , سواء صح أو لم يصح , بل القصد الاقتصار على ما تتطلبه الحاجة , وتدعو إليه الضرورة , وإهمال ما عداه مما اشتهرت صحته , أو تغير تغيراً طفيفاً لا يطمس معالمه أو يصرفه عن منحاه , وكان أمر تصحيحه ميسوراً بالرجوع إلى معجمات اللغة والقواعد العربية) [٣٢].

ومحمود يتمور أتبع في معجمه نظاماً من خلا تقسيم الكلمات العامية من حيث الأصول فقسمها إلى ثلاثة أقسام :

١- قسم عربي الأصل , وهو الكثير الغالب , ومنه ما بقي على أصله , واستعمل في معناه الموضوع له , ك (باب , جامع , جمل , إنسان) , وك(ضرب, بنى) , وك (على , في) , ومنه ما حرفوه بعض التحريف بتغير حركة بحركة مثل(قفل) بالكسر في (قُفل) بالضم , ومنه ما بقي على أصله ,إلا أنه استعمل في غير معناه إما اعتباطاً ,أو تجوزاً لعلاقة ما , فمثله نذكره ونبين الصواب فيه , ومنه ما كان التغير فيه كثيراً , أو أبدلت بعض أحرفه , وحاله في الذكر كحال سابقه.

٢- قسم الدخيل , من لغات شتى , كالتركية , والفارسية , والمصرية القديمة وغيرها .

٣- قسم العامي المحض لا أصل له , أو غاب عنا أصله , وهو ما ارتجته العامة , أو لم تصل إلى معرفة أصله , فنذكره , ونبين معناه ومرادفه , وقد لا نذكر مرادفه ؛ لأنه يعرف تفسيره [٣٣].

وللقاسمي رأي في شيوع الازدواجية بأن لهذه الألفاظ العربية المتعددة للمفهوم الواحد مجرد مترادفات يقوم الاستعمال في المستقبل بتفصيل أحدها على الآخر , لكن الخطر يكمن إذا أخص كل قطر بلفظ واحد دون غيره من المترادفات , ويبدو أن توحيد بعض ألفاظ الحضارة يتعذر إمكان المجاميع اللغوية كأسماء العملات مثلا الريال, الفلس, الدينار وغيرها , ونظراً لأهمية توحيد ألفاظ الحضارة في البلاد العربية , أتخذ اتحاد المجاميع العربية قراراً , أوصى فيه أن يتولى كل مجمع وضع مشروع ألفاظ الحضارة في كل قطر ثم تُرسل المشاريع إلى الاتحاد لتنسيقها والانتهاء إلى إصدار معجم عربي موحد لألفاظ الحضارة [٣٤].

وقد استجاب المجمع اللغوي في الأردن لقرار اتحاد المجاميع العربية وناقش مقترح لوضع المعجم العربي الموحد لألفاظ الحضارة في العصر الحديث الذي يهدف إلى وضع معجم لألفاظ الحياة العامة في الوقت الحالي , والقيام برصد وجمع ألفاظ الحضارة المستعملة في كل قطر عربي وتخزينها في الحاسوب وفق منهجية معينة , ومن ثم دراستها ووضع معنى لا يتجاوز المدلول الواحد للفظتين , وغربلة هذه الألفاظ للوصول ألة معجم موحد لا يتجاوز المدلول الواحد منه للفظتين , ويعتمد خبراء العربية في منهج اختيارهم الألفاظ قواعد عدة منها الشيوع والفصاحة والسهولة وما هو موجود في التراث , وتعابير أخرى يتفق عليها [٣٥].

هذه الأعمال اللغوية جاءت بعد أن تبين الخطر المحدق في لغتنا العربية لغة القرآن الكريم وديننا الإسلامي من شيوع العامية , نتيجة التطور الحضاري , ومواكبة أحداث العصر .

الخاتمة:

١- تعتبر الازدواجية من اهم الأخطار التي لابدَّ من التصدي لها للمحافظة عل لغتنا الفصيحة .

٢- الازدواجية نشأت بصورة عفوية دون التخطيط المسبق لها , فاللغة وسيلة للتعبير عن الأفكار , وإخراج هذه الأفكار قد يكون بطرق ووسائل متعددة لكن على الأنسان لا يخرج عن ماهو موجود في لغتنا العربية الفصيحة.

٣- وضع العلماء الكثير من الحلول لمواجهة خطر الازدواجية اللغوية واستخدام العامية , سواء كان على مستوى وضع معجمات وبيان اللفظ الفصيح من العامي, أو تعاون مع المؤسسات التربوية والتعليمية والاعلامية لاستخدام الفصحى والتشجيع على استخدامها بكل روافد الحياة.

الهوامش

[١]) لسان العرب(فصل الزاي):٢٩١/٢.

[٢]) معجم تصحيح لغة الأعلام العربي:٢٣٢.

[٣]) فقه اللغة العربية وخصائصها: ١٤٥.

[٤]) اللغة وعلم اللغة:٢٨,

[٥]) المصدر السابق:٢٩.

[٦]) معجم تصحيح لغة الأعلام العربي:٢٣٢.

[٧]) قضايا اللغة العربية في العصر الحديث:١٣.

[٨])الحيوان: ٥٤/١.

[٩]) الازدواجية اللغوية وأثرها في اكتساب اللغة العربية(مجلة جسور المعرفة):١٠٧.

[١٠]) الازدواجية اللغوية في اللغة العربية(المجمع العربي العدد٨): ٤٥-٤٦.

[١١]) لسان العرب:٨/١.

[١٢])ينظر: الازدواجية اللغوية وأثرها في اكتساب اللغة العربية:١٠٩-١١٠.

[١٣]) ينظر: الازدواجية اللغوية في اللغة العربية (مجلة المجمع العربي٨):٤٦.

[١٤]) معجم تصحيح لغة الإعلام العربي/٢٣٣-٢٣٤.

[١٥]) فقه اللغة العربية وخصائصها: ١٤٥-١٤٦.

[١٦]) ينظر : اللغة بين الازدواجية وثنائية اللغة(مجلة دراسات لسانية): ٧٨-٧٩.

[١٧]) اللغة وعلم اللغة: ٢٥.

[١٨]) ينظر: الازدواجية اللغوية في اللغة العربية:٥٨-٥٩.

[١٩]) المصدر السابق: ٦٨.

[٢٠]) ينظر: معجم تيمور الكبير(المقدمة):٦/١

[٢١]) البحث اللغوي عند العرب:١٦١.

[٢٢] ٩ المصدر السابق:١٦٣.

[٢٣]) بحوث ومقالات في اللغة :١٤٨.

[٢٤]) ينظر:قضايا اللغة العربية في العصر الحديث:٢٣

[٢٥]) معجم اللغة العربية المعاصرة(المقدمة): ١٤-١٥.

[٢٦]) المصدر السابق: ١١٠/١.

[٢٧]) المصدر السابق: ٤٤١/١.

[٢٨]) المصدر السابق:٦٥٩/١.

[٢٩]) المعجم الوسيط:٥٦١/٢.

[٣٠]) تكملة المعاجم العربية(مقدمة الترجمة)/٩/١.

[٣١]) المصدر السابق:٣١٢/١٠.

[٣٢]) معجم تيمور الكبير:١٨/١-١٩.

[٣٣]) ينظر : المصدر نفسه:١٩/١-٢٠.

[٣٤])ينظر: ألفاظ الحضارة:٢٣.

[٣٥]) ينظر: المعجم العربي الموحد لألفاظ الحياة العامة في العصر الحديث(مجلة مجمع اللغة العربية الأردني), عبد الكريم خليفة:٤٠-٤١-٤٢.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. الازدواجية اللغوية في اللغة العربية: عباس المصري وعماد أبو حسن , المجمع العربي العدد٨: ٤٥-٤٦.
٢. الازدواجية اللغوية وأثرها في اكتساب اللغة العربية : عرابي أحمد ؛ مجلة جسور المعرفة , المجلد: ٠٧, عدد:٠٢, ص١٠٥- ١٢١.
٣. ألفاظ الحضارة في القرن الرابع الهجري , دراسة في ضوء مروج الذهب للمسعودي: الدكتور عبد الجواد إبراهيم ؛ دار الآفاق العربية – القاهرة , ط١: ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
٤. البحث اللغوي عند العرب: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر؛ عالم الكتب – القاهرة , ط٨: ٢٠٠٣م.
٥. بحوث ومقالات في اللغة : رمضان عبد التواب (ت: ١٤٢٢هـ) ؛ مكتبة الخانجي – القاهرة , ط٣: ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٦. تكملة المعاجم العربية: رينهارت بيتر آن دُوزِي (ت: ١٣٠٠هـ) , ترجمة وتعليق: جـ ١ – ٨: محمَّد سَليم النعَيمي, و جـ ٩، ١٠: جمال الخياط ؛ نشر وزارة الثقافة والإعلام- الجمهورية العراقية , ط١: ١٩٧٩ – ٢٠٠٠ م.
٧. الحيوان: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) ؛ دار الكتب العلمية – بيروت , ط٢: ١٤٢٤ هـ.
٨. فقه اللغة العربية وخصائصها: اميل بديع يعقوب ؛ دار العلم للملايين – بيروت , ط١: ١٩٨٢.
٩. قضايا اللغة العربية في العصر الحديث: سمر روحي الفيصل , د. ط , د. ت.
١٠. لسان العرب: أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت : ٧١١هـ) ؛ دار صادر – بيروت , ط٣: ١٤١٤ هـ .
١١. اللغة بين الازدواجية والثنائية اللغوية والاقتراض اللغوي : كوثر قوفي ؛ مجلة دراسات لسانية , العدد الخامس : ٧٨-٧٩.
١٢. اللغة وعلم اللغة: جون ليونز ؛ دار النهضة العربية , ط١: د. ت.
١٣. المعجم العربي الموحد لألفاظ الحياة العامة في العصر الحديث:(مجلة مجمع اللغة العربية الأردني), عبد الكريم خليفة.
١٤. معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل؛ عالم الكتب, ط١: ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.
١٥. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ؛ دار الدعوة , د. ت.
١٦. معجم تصحيح لغة الإعلام العربي : عبد الهادي أبو طالب ؛ مكتبة لبنان ناشرون , د.ت.
١٧. معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية : أحمد تيمور , بتحقيق : د. حسين نصار ؛ مطبعة دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة , ط٢: ٢٠٠٢م.